صورة العالم عند نهاية القرون الوسطى(*)

كلود سوتو

ترجمة: د. حسن حيدر

إني أقترح أن أحدثكم بإيجاز ـ وبإجمال، هذا ما أخشاه ـ عن معارف الأوروبيين للعوالم الغريبة حوالي نهاية العصر الوسيط. سيتناول عرضي نقطتين: في المقام الأول سأعالج المصادر والخطوط الأساسية لصورة العالم (L'imago mundi) كما ظهرت في الموسوعات الكبرى، ومؤلفات الفلك. والخرائط الجغرافية وفي المؤلفات العامية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر للميلاد، وسأجتهد في المقام الثاني لأظهر الى أي مدى ساهمت الرحلات الى آسيا، في تغيير الصورة التقليدية لكوننا الأرضي.

الأوروبيون ـ وأنا أقصد هنا الغربيين (Les Occidentaux) لم يعرفوا مباشرة، عياناً يمكن القول، إلّا جزءاً ضئيلاً من العالم المسكون؛ أوروبا الغربية بشكل أساسي، شواطىء المتوسط والبلقان، منطقة البحر الأسود والشرق الأوسط. فيما وراء ذلك كانت تصوراتهم مجزأة وغير دقيقة، بل هي خرافية تماماً، لأنها لم تعتمد الى حد كبير جداً إلّا على افتراضات، قبْليات (des a priori) ليس لها إلّا صلات واهية مع الحقيقة الجغرافية والإنسانية. بالمقابل لنكن منصفين، فلا الصينيون ولا العرب، مع كونهم أكثر معرفة من الأوروبيين، استطاعوا الإفلات من أوهام مشابهة. إن الصورة التي كوّنها الغربيون لأنفسهم عن العوالم الغريبة، تشكلت انطلاقاً من ثلاثة مصادر: يونانية ـ لاتينية، مسيحية وإسلامية.

لقد أنتج العصر القديم أدباً جغرافياً غنياً الى أقصى الحدود ـ حيث فقد جزء منه ـ ومحلّىً باسماء: هيرودوت[1] (Hérodote)، ايراتوستين[2] (Eratosthène)، ميغاستين[3] (Mégasthène)، بليني[4] (Pline)، سترابون[5] (Strabon)،

(*) فصل من كتاب «مظاهر الهامشية في العصر الوسيط»

Aspects de la marginalité au Moyen Age Ed., de l'Aurore, en Collaboration, Montréal, 1975.

وهو مجموعة أبحاث تشكل وقائع المؤتمر الأول الذي عقد في معهد الدراسات الوسيطة التابع لجامعة مونتريال في كندا، في الفترة الواقعة ما بين 6-7 نيسان 1974.

بـطليمـوس[6] (Ptolémée). وأبعـد من ان يقصروا فضـولهم عـلى العـالم المتوسـطي، فقـد اهتم هؤلاء بافريقيا وآسيا. لقد كانوا يملكون بعض المعـارف عن البلدان المحـاذيـة للمحيط الهنـدي، بـدون شـك، بسبب من فتـوحات الاسكنـدر، كذلـك فإنهم خمّنـوا وجـود حـضـارات في الشرق الأقصى: الـصـين والأرخبيل المالينيـزي، اللذين سموهمـا على التـوالي: سينـاي (Sinae) وشرسـونيـز الـذهبيـة (Chersonèse d'or). أمـا مسـاهمتهم عـلى صعيـد الخـرائـطيـة (Cartographie)، فلم تكن قليلة الأهمية. لقد تخيّلوا هندسة الكرة واستنبطوا أنظمة اسقـاط متنوعـة تخص الخرائط، ووضعوا مبدأ تحديد الأطوال والعروض.

ان أفق الجغـرافيـين المسيحيـين، مـاكـروب[7] (Macrobe)، اوروس[8] (Orose)، ايـزيـدور الاشبيـلي[9] (Isidore de Séville)، ربـان مـور[10] (Raban (Maur)، بـيـد المـبـجّـل[11] (Bède le Vénérable)، يـبـدو محـدوداً أكـثر. حتى دون ان يرفضوا تراث القدماء، فهم على الأقل استنجدوا على وجـه الخصوص بنـظريـة الكتـاب المقـدّس عن نشـأة الكون، وسعوا باخلاص للتوفيق بين مفهـومهم للعالم وبين متطلبات ايمانهم الديني. ولكن الخلفاء الحقيقيين للقدماء، وعلى اكثر من صعيد، هم المسلمون الـذين سيمنحون الجغرافيا بدءاً من الفترة الخلافية في القرنين التـاسع والعـاشر للميلاد، ازدهـاراً لا يضارع، لقـد عرفوا واستخدموا بسهولة كبار كتّاب العصر القـديم، خصـوصاً بـطليموس الـذي ترجمـوا كتـابـه في الفلك واسمـه المجسـطي (L'Almageste). المسعـودي[12] [حـرّف الكاتب اسمـه الى المصمودي] والإدريسي[13] هما ممثلاهم الأكثر نفوذاً. هـذا الأخير ليس مجهـولاً في الغرب كونه أقام في بلاط روجر الثاني[14] (Roger II) في بالرم (Palerme). ونحن مدينون له بكتاب «نـزهة المشتـاق في اختراق الآفـاق» (Récréation pour celui qui Veut Voyager)، بكرة فلكية وبخارطة عملاقة.

ان الجغرافية العربية وبـطبيعة الحـال اليونـانية دخلت الى الغرب عبر طليطلة (Tolède) المركز الأهم للترجمة في القرن الثاني عشر.

إن معارف الأوروبيين مدوّنة في موسوعات، غالبـاً مـا تشبه الـواحدة الأخـرى، لنذكـر: «صورة العـالم» (De imagine mundi) لهونوريـوس[15] (Honorius)، و «رسالة في فلسفة العالم» (Traité de la Philosophie du monde) لـغـلـيـوم دي كـونش[16] (G. de Conches) في القـرن الثـاني عشر؛ و «مـرآة العـالم» (Speculum mundi) لفـانسـان دي بـوڤيـه[17] (V. de Beauvais) و «الـسـيرة الأمـبراطـوريـة» (Otia imperialia) لجـرفيـه دي تيلبـوري[18] (Gervais de Tilbury) في القرن الثالث عشر للميلاد. وفيما بعـد [نجـد تلك المعارف] في أعـمال فلكيـة مثل «رسـالـة الكـرة» (Traité de la **Sphère**) لسـاكـروبـوسكـو[19] (Sacrobosco)، و«الألـواح الـفـلـكـيـة» (Tables astronomiques) لألفـونس الحكيم[20] (Alphonse le Savant)؛ وأخيـراً في خـرائط جغـرافيـة كتلك التي وجـدت في هـرفـورد[21] **Hereford** و**ابستـورف**[22] (Ebstorf). وبدرجة أقـل فإن المعـطيات الموجودة في الكتب ذات الطابع العلمي، ستستعـاد في الأدب ذي النـزعـة العـاميـة، امثـال: «كتب الحشرات، كتب الحيوان، كتب الأحجار او الجواهر، وكتب الطيور»، «صـورة العالم» لجـوسوين دي مـتز[23] (Gossouin de Metz)، «سر الأسرار» (Le Secret des Secrets) لفيـليب دي فـولـينيـو (Ph. de Foligno)، كتـاب «الـذخـيرة» (Livre du Trésor) لـبرونيتـو لاتيني[24] (Brunetto Latini)، و «روايـات الاسكندر». ثم إن بعض الأساطير ذات المصدر الهندي، والتي غزرت في الشروح الجـغـرافيـة، الـبـانـشـاتـنـترا[25] (Les Ponchatantra) انتشرت في الغـرب. ويتـولـد عن تـرجمتها [اي البـانشـاتنـترا] الى السريـانيـة في القـرن السـادس للميـلاد، والعـبريـة في القـرن الثـاني عشر

للميلاد، والى اللاتينية في القرن الثالث عشر بواسطة حنا دي كابوا[26] (Jean de Capoue). اسطورة سان برلاعم ويوشافاط[27] (S. Barlaam et S. Josaphat). هذان الاسمان كانا البديلين لبيلاهو (Bilahou) وهو متصوف هندي، ولبوذا (Bouddha). وفانسا دي بوڤيه سيشير اليهما في كتابه «مرآة التاريخ» (Speculum historiale). إن دراسة هذه الكتب المختلفة ستسمح لنا ان نحدد ـ آخذين بالتأكيد حساب الفوارق المهمة ـ الخطوط الكبرى «لصورة العالم».

إن وجود خط الاستواء، المدارات، الأقاليم المناخية الخمسة، القارات الثلاث، والبحار الثلاثة، والاهوية الاثني عشر. هو بوجه عام مسلّم بصحته. كل ذلك فضلاً عن مواطن الخيال خارج العالم المعروف. ان البيانات الإقليمية تعكس هذه الثنائية المتميزة بين الواقع والخيال.

لقد شكلت اوروبا الشمالية والمحيط الاطلسي موضوعاً لبيانات وصفية مستوحاة غالباً من الخيال. الأولى موطن سكان أقصى الشمال (Hyperboréens) وهم شعب محيّر بقدر ما هو صعب المنال ويعيش في ظلمات دائرة الكواكب السبعة، أي الدائرة القطبية؛ أما الثاني [أي المحيط الأطلسي] فهو مزروع بالجزر الغامضة[28]: برازيل (Brasil)، ستوكافيكسا (Stockafixa)، «المدن السبع» و «السعادة». هذه الأخيرة زارها سان برندن[29] (Saint Brendan)، اذا اعتقدنا بالأسطورة. غير ان النصوص لا ينقصها من ألمحوا الى معطيات جغرافية اكثر صدقاً بكثير، فالنشاط العجيب، الاستكشافي والاستيطاني للفايكنغ[30] (Vikings) ليس غريباً بالبداهة عنها. ان مؤلف «تاريخ النروج» ((L'Historie Norvegie المصنف في القرن الثاني عشر يصف مع بعض الدقة لابونيا[13] (Laponie)، إيسلندا (Islande) وجزر أوركاد وفيروى[32] (Orcades et Feroe). وجود جزيرة غرونلند (Groeneland) اشير اليه في كتاب «مرآة الملك» (Le Miroir du roi) المؤلّف في نهاية القرن الثاني عشر وبداية القرن الثالث عشر. ان آدم دي بريم[33] (Adam de Brême)، واوردوريك فيتاليس[34] (Orderic Vitalis) ألمحا من جهتهما الى فنلندا[33] (Vinland)، اي الشاطىء الشرقي لأميركا الشمالية. اخيراً من المحتمل ان المنطقة الموصوفة في مخطوط ضائع من نهاية القرن الرابع عشر للميلاد، والمشار اليها غالباً في القرن السادس عشر تحت اسم (Inventio Fortunato) لم تكن سوى اللابرادور[36] (Labrador).

إن معارفهم عن القارة الافريقية لم تكن أفضل البتة، اذا استثنينا بالطبع المغرب ومصر، فقد اعطى الجغرافيون اسم اثيوبيا الصغرى والكبرى لافريقيا الوسطى والجنوبية، في جوار البحر الأحمر بلاد أوفير (Ophir) الغامضة؛ وهي مملكة سبأ[37] (Saba) القديمة.

وفي الأخير، إن فرضياتهم حول منابع النيل ـ المسألة التي لم تسوَّ فضلاً عن ذلك الاّ في القرن الأخير، تغيرت بكثرة. تارة عينوا مكانها في الهند ـ هذه الأخيرة كانت ملصقة بأفريقيا بحيث تغلق المحيط الهندي ـ وتارة بأفريقيا الغربية حيث تندمج مع المجرى الأعلى لنهر النيجر. فبطليموس وايراتوستين كانا، بهذا الصدد، أقرب منهم الى الحقيقة، لأنهما حدّدا جريان نهر النيل من الجنوب الى الشمال.[38].

أما آسيا فهي التي مارست عليهم إغراءها اكثر. بالتأكيد بدت لهم بعيدة، غامضة ومغلقة. ولكنهم كانوا على علم بوجود عدة بؤر للحضارة في رحمها، ولو ان حدودها محجوبة بعدد لا يحصى من الخرافات. وبما انهم جعلوا منها قمة العالم، فقد عيّنوها غالباً في القسم الأعلى من خرائطهم، فهي تحتوي في مكان ما الفردوس الارضي، الذي تحُول دون دخوله جبال عالية، وستار من نار، وحشود من حيوانات مشوّهة

الخلقة، البعض وبكل طيبة خاطر وضعها في الجهة المقابلة لجبل الزيتون[39] (Mont d'oliviers) في قمة جبل المطهر (Purgatoire) في النصف الجنوبي للكرة الأرضية. تنفصل آسيا من الشرق الى الغرب بسلسلة جبلية هي القوقاز: في الشمال نجد أولاً بلاد ياجوج وماجوج[40] (Gog et Magog)، المسكونة بالقبائل الاسرائيلية التي دفعها الاسكندر أمامه؛ ثم بوجه الاحتمال، في آسيا الوسطى توجد مملكة الكاهن جان او الأخ جان الغامضة[41] (Prêtre Jean). هذا الاخير، المتحدر من نسل الملوك السحرة، والعدو العنيد للاسلام، أيقظ كل الآمال [أي آمال الغربيين]. اوتو دي فريزنج[42] (Othon de Freising) هو أول من أشار الى وجوده وذلك في سنة 1245 م، وبعد عشرين عاماً، نشر أحد الكهنة الدعاة الشاطرين من متز (Metz) في الغرب رسالة كان قد كتبها هذا الملك الى الإسكندر الثالث[43] (Alexandre III) ومانويل كومنين[44] (Mauel Comnène)، وفردريك باربروسا[45] (Frédéric Barberousse) ودعا فيها الثلاثة الكبار الى إقامة حلف معه لمقاتلة المسلمين. كانت الأسطورة هذه ما تزال متداولة كثيراً في بداية القرن الثالث عشر للميلاد، لأنه اشير اليها باستمرار خلال الحملة الصليبية الخامسة والغزو المغولي. وفي جنوب السلسلة الوسطى عين الجغرافيون موقع الهند: بلد ذو ثروات خيالية، جذّاب ومرعب في آن. ان خرافة صلبة جعلت منها موطناً لجالية مسيحية على مذهب القديس توما[46] (St. Thomas). وما وراء المحيط الهندي الذي كان مغلقاً توجد بلاد سكان الجهة المقابلة، الذين هم أناس في غاية التناقض، وشعب من الكائنات الغريبة والمشوّهة الخلقة: ذوو رؤوس كلبية، وعمالقة بعين واحدة، سكان كهوف، رجال نمل ورجال بدون رؤوس. هكذا كانت بالاجمال صورة العالم في الوقت الذي كان سينطلق فيه الأوروبيون لاكتشاف قارة آسيا.

ان الأحداث التي كانت تجري على أرض هذه الأخيرة. سهلت على الخصوص، مشاريع الرحلات هذه. لقد حقق السلام المغولي (Pax Mongolica)، وللمرة الاولى وحدة القارة الآسيوية، من البحر الاسود حتى المحيط الهادىء وان المغول هم صانعو هذه الوحدة، فضلاً عن ذلك، أثاروا في الغرب أحاسيس غامضة من الخوف والأمل، إحساس بالخوف بالتأكيد، لأنه بعد اجتياحهم لأوروبا الشرقية، تابعوا تقدمهم حتى البحر الادرياتيكي. لقد شعرت المسيحة انها مهددة كفاية الى حد ان البابا غريغوار التاسع[47] (Grégoire IX) اعتقد بأحقية الشروع بالتبشير بحملة صليبية كي يصدهم. شعور بالامل ايضاً، فبكونهم ليسوا مسلمين فمن الجائز اعتبارهم كأعداء للاسلام. في سنة 1218 م. جعل جاك دي ڤيتري[48] (Jaques de Vitry) في كتابه «تاريخ اورشليم» (Histoire de Jérusalem) من جنكيز خان[49] ابناً، أو على أي حال، متحدراً من سلالة القديس يوحنا. ان اتفاقاً يبدو ممكناً اذن. كما ان مجمع ليون (Concile de Lyon)، أمر سنة 1245 م. بإرسال سفراء الى بلاط الخان الكبير. مذ ذاك، وحتى قبيل نهاية القرن الرابع عشر للميلاد، سيجوب الرحالات الغربيون آسيا وعالم المحيط الهندي.

جان دي بلان كاربيني[50] (Jean de Plan Carpin)، أندره دي لونجيمو[51] (André de Longjumeau) وليم دي ريبروك[52] (Guillaume de Rubrouck) في منتصف القرن الثالث عشر للميلاد، أودوريك دي بوردنون[53] (Ordoric de Pordenone)، حنا دي مونت كورفينو[45] (J. de Monte Corvino) جوردان كتالا دي سيفيراك[55] (Jourdain Cathala de Séverac) في بداية القرن الرابع عشر للميلاد، هؤلاء كانوا في الوقت نفسه

سفراء، مستكشفين ومبشرين وإن بدرجات متفاوتة. ولكن آل پولو[56] (les polo) هم الوحيدون، وليس حصراً، الذين كانت لهم مآرب تجارية. أما الرحلة فكانت تتم، بالنسبة للجميع، في ظروف مرعبة بوجه خاص: مشاكل اللغة، خطوط سير ليس لها آخر، غير مؤكدة ومزروعة بكمائن من كل نوع، بالاضافة لصعوبات التكيّف مع الوسط الطبيعي والانساني. ولكن المناطق التي زاروها لم تكن غريبة عنهم تماماً، واذا كانوا لا يستطيعون الوثوق إلاّ نادراً بالمعارف الجغرافية المحصلة، وسرعان ما كانوا يتأكدون من ذلك، بدهشة بل بحسرة، فإنهم بالمقابل عرفوا كيف يستفيدون من قصص الرحلات السابقة، ومن معلومات الناس الذين كانوا يعيشون على التخوم الشرقية لأوروبا، وبالطبع من العلاقات التي اقاموها مع المحليين. ان شهاداتهم حملت طابع ما رأوه، ولكن ايضاً ما عرفوه عن طريق السماع، وليس من السهل دائماً ان نحدد على وجه اليقين مكان الواحد او الآخر. فالملاحظة الاكثر واقعية تتجاوز مع ما هو مستبعد الحدوث، وكأن العجيب كان لازماً لكل وصف للعالم الآسيوي.

ان المعارف عن آسية كان مقدراً لها في نهاية المطاف ان تتقدم جداً: معارف جغرافية بالطبع، ولكن ايضاً دينية، انسانية، اجتماعية واقتصادية. من جهة أخرى نُسجت في بداية القرن الرابع عشر للميلاد روابط وثيقة نسبياً بين القارتين (آسيا وأوروبا). خلال عدة عقود من السنين أمكن الغرب الاعتقاد، وبحق تقريباً، باهتداء كثيف الى الآسيويين. ما كان يدعوهم لذلك هو التسامح النسبي للمغول تجاه المسيحيين، والفائدة المحققة التي يحملونها لأوروبا، وارسال بارسوما[57] (Bar Sauma) الى فرنسا في سنة 1287 م. فالبابوية، الدومينيكان، الفرنسيسكان، لم يهملوا شيئاً البتة ليصبح هذا الأمل واقعاً محققاً. وهكذا فمنذ بداية القرن الرابع عشر خُصَّت الصين بطبقة حقيقية من الاكليروس، ولكن باعتراف المبشرين انفسهم، فقد بقيت العلاقات اللغوية احد المواضيع الكبرى التي يجب تسويتها. لقد أُلف معجم ثلاثي: لاتيني ـ فارسي ـ كوماني[58]، للتخفيف من حدَّة هذه الصعوبة. بينما أمر مجمعا فيينا (Vienne) الجامعات بتعليم اللغات الشرقية. أمّا على الصعيد الاقتصادي، فإن بعض الأبحاث الحديثة تدعو للاعتقاد بأن تجاراً إيطاليين انطلقوا على خطى ماركو بولو لفتح الصين، بينما نمت مبادلات تجارية بنسبة ليس من الممكن بعد تقديرها. على اية حال، تحدَّث بيغولوتي[59] (Pegolotti) مطولاً في دليله البحري (Practica della mercatura) المؤلَّف ما بين سنتي 1310 م. و 1340 م. عن طرق الاتصال مع الصين. وبالرغم من كونها مؤثرة، فإن هذه النتائج لم تكن في النهاية الاّ مؤقتة. فعداء المغول المتنامي في آسيا، وعداء المماليك في مصر، أغلق واحدة بعد الأخرى المحطات البرية والبحرية نحو الشرق الأقصى وقوَّض البعثات الدينية والبيوتات التجارية.

ومنذ نهاية القرن الرابع عشر، كانت آسية، حتى اشعار آخر، مغلقة بوجه الغربيين.

ولكن المهم بالنسبة لحديثنا، هو قياس الأثر الحاسم لانفتاح آسيا على الذهنيات الأوروبية، هذا الأثر والحالة هذه كان بطيئاً جداً. حقاً ان روبروك وبلان كاربيني استقبلا عند عودتهما استقبالاً مناسباً جداً. هذا الأخير قام بجولة حقيقية من المحاضرات عبر أوروبا. ولكن بالرغم من الاستثناءات البارزة **كروجر بيكون**[60] (Roger Bacon) وفانسان دي بوڤيه اللذين أدرجا في مؤلفاتهما مقاطع عريضة من خط سير الرحلة ومن تاريخ المغول، فإن هذه المعارف الجديدة لم تدخل الاوساط المثقفة والشعبية الاّ في وقت متأخر جداً. لقد كان الشك كبيراً مما حدا بماركوپولو ان يقسم على فراش الموت أنه لم يكذب ابداً ودوّن ابراهام دي كرسك[61] (A. de Cresques) في

أطلسه (L'Atlas Catalan) النتائج الجغرافية لاستكشاف القرنين الثالث عشر والرابع عشر للميلاد، كان ذلك سنة 1375، بينما تابعت الخرائط المستوحاة من التقليد الى وقت متأخر، تجاورها مع كتب الادلة السواحلية (Portulans) بدون ان يكون لهذه الاخيرة بعض التأثير على اتمام تلك. ان الغربيين كرهوا بدون شك الاقلاع عن عادات ذهنية كانت ترضي تذوقهم للعجب. فمن كتاب «العجائب» (Les Merveilles) لماركو پولو لم تحفظ غالباً الاّ الناحية الخرافية. ان نجاح «كتاب المعرفة الانسانية» (Livre de la Connaissance humaine) او ذلك المسمى «برحلة ما وراء البحار» (Voyage d'outre-mer) لجان دي ماند فيل[62] (Jean de Mandeville) يؤكد على ما اعتقد هذه الحالة الذهنية. زد على ذلك ان اغلاق طريق آسيا لم يكن الاّ ليعيد الى هذه القارة، في اذهان الكثيرين، طابعها المنيع والغريب، مع ذلك فإن الشك حل تدريجياً في الاذهان، على الاقل عند من كانوا الأكثر تطوراً. ان البلاد الخرافية في آسية مثل بلاد ياجوج وماجوج، ومثل مملكة القديس يوحنا، تراجعت الى محيط الدائرة، الأولى في روسيا الشمالية، والثانية في افريقيا. هذا التبديل اضفى على آسيا ذلك البعد الانساني بحصر المعنى الذي لاحظه الرواد. وفي القرن الخامس عشر للميلاد، عشية الاكتشافات الكبرى لعصر النهضة (Renaissance) اكثر ما كان يثير الجغرافيين وهذا عائد للازدهار المذهل لفكر بطليموس ـ هو قياس القارات ووضعيتها الخاصة على الكرة الأرضية ثم التفتيش عن ممر نحو آسيا إما عن طريق الجنوب وإما عن طريق الغرب. ولكن تلك قصة اخرى.

الحواشي

(*) ملاحظة: ان جميع الحواشي هي من عمل المترجم.

(1) هيرودوت(484-425 ق.م): من مواليد هاليكارناسوس، وهو أول مؤلف اغريقي قام بعمل تاريخي متكامل ومنتظم، واعتبر بحق أبا التاريخ. امتاز بأنه رحالة لا يكل. فقد زار مصر وآسيا الصغرى وبلاد الأغريق كلها وصقلية وايطاليا واعطى لقرائه صوراً عن حياة مائتين من الشعوب المتباينة.
[انظر، هاري أ. بارنز، تاريخ الكتابة التاريخية، ترجمة د. محمد ع. برج، الهيئة العامة، الجزء الاول، القاهرة، 1984، ص 49-51].

(2) ايراتوستين (276-194 ق.م): أمين مكتبة الاسكندرية، كان أول من ضبط أوقات الفترات الهامة في التاريخ الاغريقي مستعيناً بالتقديرات الفلكية فضلاً عن المراجع التقليدية [انظر، بارنز، مرجع سابق، ص 58.

(3) ميغاستين (القرن الثالث قبل المسيح): مؤرخ وجغرافي يوناني أرسله سلوقس نيكاثور بعدد من المهمات ما بين سنتي 302 و 297 ق.م الى الملك الهندي ساندراكوش. ودوّن ملاحظاته في كتابه عن الهند (Ses indica)، وقد اقتبس منه كثيراً سترابون... واختصره ديودور الصقلي. بفضله نعرف كثيراً من التفاصيل المهمة عن شعوب ومجتمع الهند تحت حكم الموريا (Les Mourya).

(4) بلين (23-79 ب.م) ولد في مدينة كوم (Côme) طبيعي وكاتب لاتيني، وقد هلك اثناء هيجان بركان فيزوف سنة 79 ب.م. وهو صاحب كتاب «التاريخ الطبيعي» (Hist. Natur.,) وهو دائرة معارف علمية من 37 كتاباً.

(5) سترابون (نحو 58 ق.م ـ بين 21-25 ـ ب.م): جغرافي يوناني، تشكل «جغرافيته» (Geographica) جغرافية العالم القديم عند بداية الامبراطورية الرومانية.

(6) بطليموس (القرن الثاني بعد المسيح): فلكي وجغرافي ورياضي يوناني، ولد في مصر العليا، صاحب «المجسطي» كما عرفه العرب وهو دائرة معارف فلكية حوت ما عرفه الاقدمون، وله كتاب في الجغرافيا. وقد بقي تأثيرهما حتى العصور الوسطى امتداداً لعصر النهضة. [للمزيد من المعلومات، Ei', I. Batlamyûs, 1133-1134].

(7) ماكروب: كاتب ونحوي لاتيني من نهاية القرن الرابع للميلاد ومؤلف «تفسير» حول حلم شيبيون لشيشرون.

(8) اوروس (388-420 ب.م): مؤرخ ولاهوتي اسباني، كان تلميذاً للقديس اوغسطين ومنه استمد مؤرخنا ابن خلدون كثيراً من أخبار الروم. وتمثلت نتيجة عمله في كتابه المثير الذي اسماه «الكتب السبعة ضد الوثنيين» (Historieo adversus paganos). وقد تم جمع كتابه بين سنتي 415-418. . . وقد اعتنق نظرية القديس اوغسطين القائلة بمبدأ اثر القدرة الالهية في التاريخ. . . ويبدأ اوروس كتابه بنبذة جغرافية عن العالم كما عرفه، لا سيما تلك المناطق التي عالجها في كتابه. والكتاب أساء الى الامم الوثنية وثقافتها. [انظر، ج. هونشو، علم التاريخ، ترجمة عبدالحميد العبادي، دار الحداثة، ط، 2، 1982. ص/26 هامش 7؛ ايضاً، نورمان ف. كانتور، التاريخ الوسيط، ترجمة د. قاسم ع. قاسم، دار المعارف، 1981، ص/140؛ بارنز، مرجع سابق، ص/74-76؛ وحول من اخذ من كتاب اوروس من العرب، وكيفية نقله من اللسان اللاتيني الى العربي، يستحسن، مراجعة كتاب، ابن جلجل، طبقات الاطباء، ت. فؤاد سيد، المعهد الفرنسي للآثار الشرقية في القاهرة، 1955، ص/ك 1 من مقدمة المحقق وهامش 1 و 2.

(9) ايزيدور الاشبيلي (560-636): أعد موسوعة عن المعرفة في القرن السابع الميلادي واشار فيها الى بعض تقاليد الشعوب المجاورة وعاداتهم ولكن بطريقة عفوية تتصف بالسطحية والتحيز فقد ذكر مثلاً ان قرب الشعوب او بعدها عن اوروبا يحدّد درجة تقدمها. . . ليس هذا فحسب، بل انه وصف اولئك الناس الذين يعيشون في اماكن نائية بأنهم سلالات غريبة الخلقة حيث تبدو وجوههم بلا أنوف. . [انظر، د. حسين فهيم، قصة الانثروبولوجيا، عالم المعرفةج98، شباط(1986، ص/51-52]. ويمثل كتابه «الاشتقاقات» (Etymologies) الحلقة الأخيرة في التراث الروماني. وأن أي باحث لم يكن ليستغني عن البحث فيه عما يهمه من موضوعات [قارن ب ـ بيرل سمايلي، المؤرخون في العصور الوسطى، ترجمة قاسم قاسم، دار المعارف/1979، ص/33].

(10) ربان مور (780-856): كاتب الماني متعدد الموضوعات ويعتبر مؤسس علم اللاهوت في المانيا. كان مستشاراً للويس التقي (Louis le Pieux)، وترك ميراثاً طيباً، منها دائرة معارف في «طبيعة الاشياء» (De Rerum Naturis).

(11) بيد المبجل (672 أو 677-735): اعظم الباحثين الأنكلو ساكسون. وهو الذي نفذ اقتراح ايزيدور الاشبيلي بعمل تقديم مسيحي ابتداء من تجسد المسيح. وتمثلت اعظم جهوده في مجال كتاب «التاريخ الكنسي للشعب الانكليزي» وهو احد الاعمال القليلة جداً في اوائل العصور الوسطى التي لا تزال تحتفظ بجاذبيتها بين أوساط عامة المتعلمين. [انظر، شاخت وبوزورت، تراث الاسلام، القسم الاول، ترجمة د. محمد ز. السمهوري، ضمن سلسلة عالم المعرفة، رقم/8، آب/1978، ص/28 هامش؛ ايضاً، كانتور، مرجع سابق، ص/285-286؛ بارنز، مرجع سابق، ص/91].

(12) المسعودي، احد مشاهير الموسوعيين المسلمين ولد في بغداد وتوفي في مصر سنة 957. رحالة عظيم، صنف تصانيف كثيرة، حفظ منها مصنفان كاملان فقط هما: مروج الذهب. وكتاب التنبيه والاشراف. وقد اشتهر بالأوصاف الدقيقة لمختلف البلدان وبفهمه العلمي. ولم يقصر المسعودي كلامه على العالم الاسلامي بل تعداه الى غيره. [انظر، عمر كحالة، التاريخ والجغرافية في العصور الاسلامية، دمشق/1972، ص/230؛ ايضاً،

A. Miquel, La Géographie humaine du Monde Musulman, 2 Vols, 1967-1975, Mouton, Paris-La Haye, Vol. I,P.X.X IX].

وحول الجغرافية الاسلامية والاسهامات التي قدمتها للتراث الانساني، يستحسن مراجعة كتاب، كراتشكوفسكي، تاريخ الادب الجغرافي العربي، ترجمة ص 4، هاشم، القاهرة، 1963؛ بالاضافة الى كحالة وميكيل.

(13) الادريسي (1100-1165) وقد عمل احسن نموذج من الخرائط التي وضعها الجغرافيون العرب، ففي هذه الخارطة تقسيم لخط نصف النهار وخط الاستواء وضبط درجات البلدان وعروضها. . . ورسم على خارطته المجسّمة جميع اقاليم واقطار المعمورة المعروفة في ذلك الزمن. وهو رحالة كبير بدأ سياحته في سن السادسة عشرة، وظهر في بلاط روجر الثاني ملك صقلية سنة 1152

حيث الف له كتابه «نزهة المشتاق» وكان قد كلفه بعمل كرة ارضية. . [قارن بـ د. جمال الدين الشيال، التاريخ الاسلامي واثره في الفكر التاريخي الاوروبي في عصر النهضة، دار الثقافة، بيروت، د. ت، ص/45-46؛ كحالة، مرجع سابق، ص 225 و 234].

(14) روجر الثاني (1101-1154): ملك النورمان وصاحب صقلية، ايام كانت هذه الجزيرة نقطة الاتصال بين الشرق والغرب، وهو من المعجبين بالثقافة العربية الاسلامية وقد امر برسم خريطة كبيرة للعالم على طريقة الخليفة العباسي المأمون. [انظر الهامش 13 في اعلاه، وقارن، بـ توماس ارنولد، تراث الاسلام، ترجمة جرجي فتح الله، الطبعة الثالثة، دار الطليعة، بيروت 1978، ص/141-142].

(15) هونوريوس: كاتب كنسي من القرن الثاني عشر، مر في كانتربري، كتابه «صورة العالم» هو موسوعة لاتينية للمعارف في عصره، له عدة ملفات اخرى، وكتب سير رجال الكنيسة حتى عصره، وقد كان عقلياً في منهجه [بارنز، مرجع سابق، ص/81].

(16) وليم دي كونش (1080-1154): فيلسوف ولاهوتي فرنسي درس في باريس وشارتر. طالب بحق العلم في تحليل الظواهر الطبيعية بحد ذاتها وله مؤلف في فلسفة الاخلاق ايضاً.

(17) فانسان دي بوفيه (1190-1264): موسوعي فرنسي، انجز ثلاثة كتب من دائرة المعارف المعروفة آنذاك باسم «المرآة الكبرى» (Speculum majus) وهي الطبيعة والمبادىء والتاريخ (Speculum Naturale, doctrinode, historiale) وقد جاءت هذه الموسوعة في 31 كتاباً واشتملت على 3793 فصيلاً، وتناولت هذه الموسوعة كل تاريخ البشر منذ بدء الخليقة حتى عهد لويس التاسع. وهو كتاب الف بطريقة «القص واللصق» في اعلى مستوياتها، وهذه الموسوعة مشابهة للموسوعات الاسلامية وتتضمن اقتباسات كثيرة عن مؤلفات العلماء المسلمين الشديدة التنوع، امثال كتب جابر بن حيان في الكيمياء، وكتب الفارابي في الموسيقى [انظر، تراث الاسلام، شاخت وبوزورت. . . الجزء الثالث، ص/127-138؛ تراث الاسلام (ارنولد)، مرجع سابق، ص/544؛ بارنز، مرجع سابق، ص/111؛ وسمايلي، مرجع سابق، ص/222 وما بعدها].

(18) جرفيه دي تيلبوري (القرن الثاني عشر ـ الثالث عشر): من المحتمل انه صانع خريطة ابستورف (Ebstorf) وهو أستاذ حقوق انكليزي في جامعة بولونيا. الف كتابه المذكور (Otia imperialia) سنة 1211، وهو مؤلف نصف تاريخي ونصف جغرافي [قارن بـ Aspects de la Marginalité... P / 91].

(19) ساكروبوسكو (1190-1250): رياضي وفلكي انكليزي ومترجم من العربية وله عدة مؤلفات معروف بكرته (Spheara mundi) وقد ارتكز ساكروبوسكو على ترجمة يوحنا الاشبيلي لكتاب «الجوامع» للعالم العربي الفرغاني [قارن بـ اودين جنجريش، علم الفلك الاسلامي، ترجمة سلمى بيضون، مجلة العلم والتكنولوجيا (معهد الانماء العربي)، العدد/7، كانون اول/1986، ص/70].

(20) الفونس الحكيم: هو الفونس العاشر ملك قشتالة (1252-1284) ويعطى لقب الحكيم او العاقل لأن الاهتمام بنقل علوم العرب الى اسبانيا النصرانية بلغ ذروته في عهده، وله عدة مؤلفات، عدا تشجيعه اعمال الترجمة والتلخيص. ادخل الى فرنسا وايطاليا مفاهيم عربية تتعلق بالايمان وبالاخرويات، لعلها لم تكن مجهولة لدى دانتي (Dante). [قارن بـ تراث الاسلام، شاخت وبوزورت، الجزء الاول، ص/146-147؛ الثالث، ص/134].

(21) هرفورد: مدينة انكليزية اصبحت في القرن الحادي عشر مركزاً حقيقياً للدراسات العربية [تراث الاسلام، شاخت. . . جزء ثانٍ/263].

(22) ابستورف: عملت هذه الخريطة سنة 1235، وجدت في دير للرهبان البندكتيين في ابستورف بالقرب من اولذن (Ülzen) سنة 1830 ثم نقلت الى هانوفر وقد خربت اثناء الحرب العالمية الثانية، وكانت تتألف من ثلاثين ورقة على الرق بقياس عام هو 3,58 × 3,56 م. وكانت في الاساس مفصولة في ورقاتها الاساسية لغايات الحفظ، بضع من ورقاتها ضاع، وكانت تحمل اسم المؤلف [قارن بـ Aspects de la Marginalité..., P/91].

(23) جوسوين دي متز (القرن الثالث عشر)، شاعر فرنسي، ومؤلفه «صورة العالم» هو مجموعة موسوعية.

(24) برونيتو لاتيني (1220-1294): علامة ايطالي من فلورنسا، كتابه «الذخيرة» هو عبارة عن تجميع للعلم في ايامه، وهو ممزوج

بالخرافات. وهو احد اساتذة دانتي وكان لاتينياً شغوفاً بالثقافة العربية واستزاد منها اثناء سفارته لدى بلاط الفونس الحكيم في الوقت الذي كان نشاط حركة الترجمة قد بلغ أوجه في هذه البلاد [انظر، الشيال، مرجع سابق، ص/59].

(25) البانشاتنترا: كتاب هندي، وقد ترجمه ابن المقفع الى العربية تحت اسم «كليلة ودمنة» عن اصل مكتوب بلغة فارسية وسطى. وكان برزويه قد نقل «كليلة ودمنة» الى البهلوية وكان قد اتى بالاصل الهندي اثناء رحلة الى بلاد الهند [انظر، ارثور كريستنسن، ايران في عهد الساسانيين، ترجمة يحيى الخشاب، القاهرة، ص/413]. وقد ترجمت كليلة ودمنة الى الاسبانية سنة 1251، ثم الى اللاتينية عن الترجمة العبرية التي قام بها ربي يوئل [انظر، بدوي، دور العرب في تكوين الفكر الاوروبي، دار القلم، ط. 3، 1979/، ص/66]. وقد اشار البيروني الى ترجمة هذا الكتاب في كتابه «تحقيق ما للهند» بقوله: «وبودي ان كنت اتمكن من ترجمة كتاب «بنج تنترا» وهو المعروف عندنا بكليلة ودمنة...» [انظر، البيروني تحقيق ما للهند، ط. سخاو، ص/76؛ وص/123 من ط. عالم الكتب، بيروت، (عن طبعة حيدر آباد؛ وقارن كل ذلك بـ تراث الاسلام، شاخت وبوزورث، الجزء الثاني، ص/166و 168 والهوامش].

(26) حنا دي كابوا: يهودي متنصر مترجم من العربية (القرن الثالث عشر) وقد ترجم «كليلة ودمنة من العبرية الى اللاتينية (1261-1278) بعنوان «المرشد الى الحياة الانسانية» (Directorium Vitae humanae) ومن ثم انتشرت في اوروبا انتشاراً واسعاً. [قارن بـ بدوي، دور العرب...، مرجع سابق، ص/66-67].

(27) برلاعم ويو شافاط: عقيب النصف الثاني من القرن الثالث عشر صارت كتب الحكم ومجموعة الحكايات في اسبانيا لا تعد ولا تحصى. منها ترجمة مفقودة للاسطورة البوذية برلاعم ويوشافط [تراث الاسلام (ارنولد)، ص/58]. التي تشبه كليلة ودمنة وهي معروفة في ترجمة عربية عن البهلوية تحت اسم «بلوهر وبوذا ساف» (Bilawharwa Budasaf) التي اخذت عنها قصص كثيرة اوروبية في القرون الوسطى. وهي قصة زاهدة تدور حول حياة بوذا. [انظر، كريستنسن، مرجع سابق، ص/41؛ تراث الاسلام، شاخت... الثاني، ص/166].

(28) الجزر الغامضة: في العصر القديم حُدّد مكان «الجزر السعيدة» في «المحيط الاقصى». جزر فرطناطش (Iles Fortunatas) (يمكن القول بأن الامر يتعلق بجزر الكناري وبأنها كانت مرتادة سابقاً). في العصر الوسيط اسّاطير اخرى امتزجت بهذه الذكريات الوثنية الغامضة. وقد حملت الخرائط الجغرافية بعضاً من آثارها: فظهرت عليها جزر خرافية منذ القرن الرابع عشر، وفي امكنة غير ثابتة. فتارة جزيرة او جزر سان برندن (St-Brendan) حيث حكاية اسطورية (Saga) ايرلندية من القرن السادس تحكي بأنه سافر بعيداً نحو الغرب حتى وصل الى ارخبيل يشير الى مدخل الجنة الارضية. البرتغاليون ببحثهم عن هذه الجزر اكتشفوا جزر آسور (Açores). وتارة جزر «برازيل» (O'Brasil) تعني «الارض السعيدة» وحيث بعض الحكايات الايسلندية تقول بأنها تحتوي على مسائل عجيبة، ولكن على وجه الخصوص انتيليا (Antilia) التي يقال انها ايضاً جزيرة «المدن السبع» (Sept Cités) التي تحمل على الاحلام والاحاديث، البرتغاليون ذكروا انهم سكنوا هذه الجزيرة في زمن الملك رودريك (عندما اجتاح المغاربة اسبانيا). سبعة اساقفة نزلوا على شواطئها واستوطنوها... جزيرة المدن السبع «لأنه كان هناك اسقف لكل مدينة: اما انتيليا فاشتقت من اتلنتيلا (Athlantilha) «الاتلنتيد الصغرى» وهي ذكرى غامضة للاتلنتيد التي تكلم عنها افلاطون (Platon) هذه «المملكة السعيدة» التي سيطويها البحر في جوفه. [هذه المعطيات مأخوذة من كتاب:
M. Mahn-Lit, Christophe Colomb, Seuil, Paris, 1960, PP. 14-16] ومن المفيد الاشارة هنا الى ان الجغرافيين الاندلسيين كانوا على معرفة بكتاب «الاشتقاقات» لايزيدور الاشبيلي (انظر الهامش عنه اعلاه) وان البكري (ت. 1094) بالذات نقل عنه اوصاف بعض النواحي مثل الجزء الخاص بوصف جزائر فورطناطش (Islas Fortunatas) المسماة بالسعادات او الخالدات او جزر كناریاس، اما البكري فهو من اكبر جغرافي الاندلس. كتابه «المسالك والممالك» بقيت منه اجزاء [قارن بـ احمد مختار العبادي، الاسلام في ارض الاندلس، عالم الفكر، مجلد/15، عدد/2، ص/80].

(29) سان براندن: بطل اسطوري ايرلندي، يُظن انه عاش في سنة 484 م. وقد كتب راهب بندكتي رحلته الى ارض الميعاد بعد عبوره الاطلنطي. [تراث الاسلام (ارنولد)... ص/279؛ وانظر الهامش السابق].

(30) الفايكنغ: محاربو او بحارة البلاد الاسكندنافية والذين قاموا بغزوات بحرية منذ نهاية القرن الثامن للميلاد وحتى بداية القرن

الحادي عشر للميلاد.

(31) لابونيا: منطقة اقصى الشمال الاوروبي، موزعة بين النروج، السويد والاتحاد السوفييتي بسكانها 35 الفاً.

(32) جزر اوركاد وفيروي: الاولى هي ارخبيل بريطاني شمال ايكوسيا يضم 90 جزيرة، اكبرها جزيرة مانيلند: اما جزر فيروى فهي ارخبيل دانماركي يقع شمال ايكوسيا ويتمتع بالحكم الذاتي منذ سنة 1948.

(33) آدم دي بريم: كتب اواخر القرن الحادي عشر كتاباً بعنوان «تاريخ هامبورج وبريمن الكنسي» وهو يمدنا بمعلومات هامة عن احوال شمال المانيا. وله مؤلفات اخرى عن تاريخ اسكندناوه القديم وعن تجارة الشماليين في عصرهم الاول. ولم يشذ آدم عن مؤرخي العصور الوسطى فكتبه حافلة بالاساطير والمعجزات. بيد انه كان علمياً الى حد معقول فيما اورده من ملاحظات عن الشعوب وبلادها واستحوذت آلهة السلاف أو أوثانهم على اهتمامه. [انظر، بارنز، مرجع سابق...، ص/122؛ سمايلي، مرجع سابق... ص/164].

(34) اوردوريك فيتاليس (1075-1143): مؤرخ نورماندي، كان راهباً، ولد في انكلترا ولكنه قضى معظم حياته في نورماندیا، يعتبر كتابه التاريخ الكنسي تاريخاً مجملاً للعالم من وقت المسيح حتى ايامه. [عنه، بارنز، مرجع سابق... ص/104-105؛ سمايلي، مرجع سابق... ص/110 وما يليها].

(35) فنلند: «انها الارض التي تنمو فيها الكرمة طبيعياً: يمكن التفكير بأنها اميركا، خاصة بعد اكتشاف حجر كينسنغتون (Kensington) في اونتاريو والذي يحمل نقشاً يفيد بوجود ثمانية من القوط واثنين وعشرين من النروج [حول ذلك Jean- Paul Roux, Les Explorateurs au Moyen Age, Seuil, Paris, 1961, P.14-15.

(36) لابرادور: اسم اعطي احياناً للارخبيل الكندي بين الاطلسي وخليج هدسون وسان لوران المحاذي لتيار لابرادور البارد. اما الآن فهو من القسم الشرقي من الارخبيل الكندي التابع لمقاطعة «الارض الجديدة» (Terre neuve).

(37) اونيروسبأ: من الطريف ان كولومبوس جعل من «اوفير» الملك سليمان جزيرة هايتي (Haïti) (انظر، Mahn-Lot, Colomb...., P.163] آخر دراسة ظهرت عن مملكة سبأ هي [د. محمد ابراهيم مرسي، اضواء على مملكة سبأ، حوليات لكلية الآداب (الكويت) 1987,49/9-1988].

(38) بالنسبة لمنابع النيل يبدو من المفيد الاشارة الى بعض الآراء حول هذه المسألة في التراث العربي الاسلامي فالمسعودي يرى ان النيل ينبع من جبل القمر ويحاول تتبع مجراه. وهو يتصدى للجاحظ الذي يزعم ان نهر مهران الذي هو نهر السند من نيل مصر ويستدل على انه من النيل بوجود التماسيح فيه. فلست ادري كيف وقع له هذا الدليل؟! وذكر ذلك في كتابه المترجم بكتاب «الامصار وعجائب البلدان» وهو كتاب في نهاية الغثاثة لأن الرجل لم يسلك البحار... «اما البيروني فهو يرد على زعم الجاحظ هذا بكل ادب»... وتوجد التماسيح في انهار الهند كما هي بالنيل حتى ظن الجاحظ بسلامة قلبه وبعده عن معرفة مجاري الانهار وصور البحار ان نهر «مهران» شعبة من «النيل». [انظر، المسعودي، مروج الذهب، شرح وتقديم د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت. 1969، ج 1؛ ص ص: 97-98,353,355؛ البيروني، تحقيق ما للهند، ط، عالم الكتب عن ط. حيدر آباد، 1958، ص/163؛ اما كتاب الامصار وعجائب البلدان فقد نشره ش. بلاّ في المشرق، آذار- نيسان/1966؛ ص ص: 169-205] اما في المأثور الاسلامي فنهر النيل من سادات الانهار لأنه يخرج من الجنة على حسب ما ورد به خبر الشريعة. [مروج، I/353] وينقل ابن حنبل عن الرسول (ص) قوله: «ان اربعة انهار تفجرت في الجنة وهي الفرات والنيل وسيحان وجيحان» وحسب ابن كثير «فإن المراد به والله اعلم من هذا ان هذه الانهار تشبه انهار الجنة في صفائها وعذوبتها وجريانها». [مذكور في عزيز العظمة، الكتابة التاريخية والمعرفة التاريخية، دار الطليعة/1983، ص/36].

(39) لقد جعل المسيحيون من جبل الزيتون، نقطة التقاء السماء مع الارض (Un axis mundi) [J-P. Rouk, Les Explorateurs...P,19] وقد وصف دانتي المطهر بشكل جبل يقع في نصف الكرة الغربي موفقاً كذلك بين النظرية وبين العقيدة المسيحية القائلة ان الفردوس الارض يقع في اقصى نصف الدائرة الشرقي من العالم فيما وراء البحر [قارن بتراث الاسلام (ارنولد)، ص/147-148].

(40) جوج وماجوج او ياجوج وماجوج. ورد ذكرهم في القرآن الكريم [سورة الكهف، الآيات 92-97؛ وسورة الانبياء، الآية 96]

كقبيلتي ياجوج وماجوج، ويذكر كيف ان ذا القرنين كان قد بنى سداً في الشرق من الحديد والنحاس لصدهم [قارن بـ Ei, Yadjudj wa Madjudj, (A.J.Wensink] اما في التاريخ العربي الاسلامي فقد قام سلام الترجمان بناء لأوامر الخليفة الواثق 842-847) برحلة استغرقت ثمانية وعشرين شهراً في آسية الوسطى ليعاين سد ياجوج وماجوج (جدار الصين الكبير) فعاد بخبره وكتبه في كتاب للواثق. لكنه حدث ان خرداذبة بجملة هذا الخبر المليء بالعجائب.

ايضاً، تراث الاسلام، شاخت وبوزورت، I ص: 187-188; Miquel, Géographie, J.P.28-29] ومن الطريف ان ابن فضلان يذكر في رحلته الى بلاد الخزر والترك والصقالبة والروس انه شاهد رجلاً من ياجوج وماجوج اثناء وجوده في بلاد الصقالبة». . . بطول اثني عشر ذراعاً، وله رأس أكبر ما يكون من القدور، وأنف اكبر من شبر، وعينان عظيمتان. . »

انظر ابن فضلان، رحلة، تحقيق سامي الدهان، ط 2؛ دمشق، 1978 ص/ 164-165؛ وانظر مقدمة المحقق. ص/54-55].

(41) الكاهن او الاخ جان: ملك اسطوري، راجت اسطورته بشكل مذهل ومضخم خصوصاً في القرنين الثالث والرابع عشر وكان المعتقد انه يحكم البلاد الواقعة ما وراء فارس وارمينيا. واسطورة الاخ جان طويلة العمر في تاريخ اوروبا. وقد اعيدت الى الاذهان بشكل مضخم مع بروز المغول على المسرح السياسي. . لقد كان في اوروبا شعور مفعم بالفوران يؤكد نهاية الاسلام(!) التي كانوا يتوقعونها على المدى القريب والارتداد الوشيك للمسلمين. كان هذا مرتبطاً بفكرة الاخ جان الغامضة وامبراطوريته المسيحية التي ساد الاعتقاد بأنها كانت تهدد الاسلام من المؤخرة والتي كان على المسيحية الاتحاد معها لهزيمة المسلمين. لقد ضخمت هذه الاسطورة آمال الغربيين وما تبادل الرسل مع المغول الأ الدليل الحي لذلك. والاخ جان هو ايضاً الملك المسيحي في آسيا الوسطى الذي حطم المغول امبراطوريته ولكنهم تبنوا رعاياه لذلك امل البابا غريغوار التاسع بتحولهم الى المسيحية والمعروف ان طقز خاتون زوجة هولاكو الاولى هي حفيدة وانج خان ملك الكرايت في شرق منغوليا وهو الاخ يوحنا في الاسطورة. وباعتبارها حفيدة آخر ممثلي الاخ يوحنا لا شك انها أوحت اليه بتدمير الخلافة. . . وهذا ما جعل لويس التاسع يعلق الآمال الكبار على بيت الاخ يوحنا للقضاء على المسلمين. . ومن المحتمل ان اصل الخرافة هذه يرجع الى اعتناق احد خانات آسيا الوسطى للنسطورية حوالي القرن الحادي عشر. ومنذ نهاية القرن السادس عشر اطلق هذا الاسم على النجاشي في الحبشة [اخذنا هذه المعطيات من: رشا الصباح، الاسلام والمسيحية في العصور الوسطى، عالم الفكر، مجلد 3/15، سنة/1984، ص، 92 مكسيم رودنسون، مراحل النظر الغربي الى الاسلام، الواقع عدد 2، 1981. ص. 126-127 وهامش ج، ص/182-183؟ الباز العريني، المغول، دار النهضة، بيروت، 1967، ص: 187 ,208,222؛ تراث الاسلام، شاخت وبوزورت، II، ص/191؛ ايضاً J.P. Roux, Les Explorateurs... P.137].

(42) اوتون دي فريزنج (1114-1158): اسقف ومؤرخ الماني اشترك في الحرب الصليبية التي قادها ملك المانيا كونراد الثالث. ثم عاد الى بافاريا عام 1149 وهو عم الامبراطور فردريك الاول (بربروسا) وقد كتب «مدونة تاريخية». واكثر كتبه اهمية «كتاب المدينتين» و «اعمال الامبراطور فردريك الاول» وقد استند الى نظرية اوغسطين الخاصة بابراز التناقض بين مدينة الله ومدينة الشيطان. وكان صاحب فكر توسعي على حساب الايطاليين [قارن بـ: ريتشارد سودرن، صورة الاسلام في اوروبا في العصور الوسطى ترجمة وتقديم د. رضوان السيد، معهد الانماء، 1984، ص/ 79(؛ بارنز، مرجع سابق. . . ، ص/123-124].

(43) الاسكندر الثالث: بابا من سنة 1159 حتى 1181، وكان على خلاف مع بربروسا، اما فيما خص رسالة الاخ جان سنة 1165 الى الكسندر الثالث فإنها كانت غير معروفة جيداً لسبب أنها كانت مكتوبة بالاويغور (Ouighou) والبابا لم يكن يعرف هذه اللغة [Aspects de la Marginalité..., P.105].

(44) مانويل كومنين: احد اباطرة عائلة كومنين التي حكمت بيزنطية. وقد كان امبراطوراً في الفترة ما بين (1143-1180).

(45) فردريك بربروسا (1122-1190) امبراطور روماني جرماني حكم من سنة 1152 حتى سنة 1190: هاجم ايطاليا ودمر ميلان سنة 1162؛ واصطدم بالباب الكسندر الثالث. وقد غرق في صقلية اثناء الحملة الصليبية الثالثة.

(46) وذلك في اشارة ربما الى خريطة «مركز العالم» وهو الكتاب الذي الفه الراهب الاسباني الجغرافي بياتوس (730-798 -Beatus) وفيه خريطة للعالم تعد من اقدم خرائط المسيحيين، جعل رأسها القديس بطرس في روما والقديس اندراوس في اليونان والقديس توما في الهند والقديس لوقا في اسبانيا [انظر، تراث الاسلام (ارنولد)، ص/ 138، هامش 18].

(47) غريغوار التاسع (1227-1241): حاول بعد زحف المغول على اوروبا محاولة تكتيل الغرب المسيحي في حملة صليبية ضدهم عام 1241 الاّ ان صراعه مع فردريك امبراطور المانيا حال دون قيام مثل هذا التكتل وقد اتهم البابا هذا الاخير بأنه يكن حباً وداً للاسلام. لذلك طرده من الكنيسة عام 1239 م. [انظر، مذكرات جوانفيل، القديس لويس، ترجمة وتعليق د. حسن حبشي، دار المعارف، 1968، ص/17 من مقدمة المترجم، قارن بـ تراث الاسلام، شاخت وبوزورث.. 48/I].

(48) جاك دي فتري (1170-1240): مؤرخ وواعظ فرنسي وقد ساعد على شن الحملة الصليبية الخامسة وامضى سنوات شبابه ورجولته في الشرق واصبح اسقفاً لعكا سنة 1216 وانضم الى الحملة المصرية سنة 1218-1222. حيث استهدفت قواعد البحرية الاسلامية في مصر. رقي الى رتبة كاردينال سنة 1229. وكتابه «التاريخ الشرقي» (Historia Orientatis) يبدأ بتاريخ مختصر للارض المقدسة منذ العهد القديم حتى الفتح الاسلامي... وهو يتناول سيرة النبي محمد (ص) وتعاليمه والقرآن والفرق الاسلامية المختلفة. ويضيف الى هذا وصفاً جغرافياً. ورسائله ذات اهمية بالنسبة لتاريخ الحروب الصليبية. هذا بالاضافة الى كتابه «تاريخ اورشليم» (Hierosolymitâna) [انظر، سهايلي، مرجع سابق، ص، 211 وما يليها.

(49) جنكيز خان (1160-1227): مؤسس اول امبراطورية للمغول واعترف به خاناً اكبر للمغول سنة 1206. استولى على شمالي الصين (1211-1216) ودخل حتى روسيا وافغانستان.

(50) جان دي بلان كاربيني (ولد سنة 1182): ان الامل المعقود على المغول كحلفاء مستقبليين جعل الرحلات أمراً ممكناً. فبعث الباب انوسنت الرابع (1243-1254) كاربيني برحلة طويلة في سنة 1254 ليكتب له تقريراً عن الموقف هناك. اذ على معرفة موقع المغول وتحالفاتهم كان يتوقف الكثير في الغرب آنذاك. غادر كاربيني ليون واجتاز روسيا وبراري آسيا الوسطى حتى بلغ معسكر الخان بالقرب من قراقورم فشهد مجلس الامراء الذي انتخب كيوك (ابن اوكيتاي خانا على المغول). وسرعان ما اكتشف كاربيني ان المغول «ينوون السيطرة على العالم» وهو مقتنع بأنهم سيبيدون العبادة المسيحية اذا ما انتصروا لذلك يبدو له الخطر من هذه الجهة اعظم بكثير من خطر الاسلام. اما بالنسبة لكتابه «تاريخ المغول» (Hist. Mongolorum) فهو يعالج فيه جغرافية آسيا الطبيعية، حياة المغول اديانهم وصفاتهم وعاداتهم.

[هذه المعطيات مأخوذة من: سوذرن، مرجع سابق... ص/90؛ رودنسون، مرجع سابق، ص/127؛ الباز العريني، المغول، ص/189؛ انظر ايضاً J.P. Roux, Les Explorateurs, P.58: 136].

(51) اندره دي لونجيمو: مبعوث دومينكاني سيصبح من انشط عملاء الغرب في القرن الثالث عشر للميلاد، وكان يعرف العربية وربما السريانية والفارسية ارسله لويس التاسع ملك فرنسا مع اخيه في بعثة الى خان المغول. وقد وصل فعلاً الى تبريز عاصمة المغول الفرس... ولكن ارملة الخان كيوك اوغول قيميش اعتبرت الهدية التي حملها لونجيمو جزية، ولم تعدها بمساعدات عسكرية وحملتها رسالة شكر الى «تابعها لويس التاسع لاهتمامه..» [الباز العريني، المغول.. ص/190-191؛ J.P. Roux, Les Explorateur,P. 40].

(52) وليم دي ريبروك: مبعوث لويس التاسع، تمت سفارته في عهد منكو اشهر خانات المغول بعد جنكيزخان: واستقبله منكو سنة 1254، اقام خمسة شهور في البلاد المغولية في قراقورم، ومن اهم الوقائع التي حدثت ما جرى في ايار سنة 1254 من مناظرة فلسفية بين المسيحيين والمسلمين والبوذيين، حول العقل واصل البشر، وكل ما حصل عليه ريبروك هو ان يساعد المغول المسيحيين طالما قبلوا التبعية لهم باعتبار الخان سيد العالم وهذا مما جعل المسيحية تهيء حملة لويس التاسع في حملة صليبية جديدة. في الواقع لم تؤد المحادثات الا على الفشل.

[الباز العريني، المغول، ص: 188;198-199؛ تراث الاسلام، شاخت وبوزورت... I/ ص/50؛ J-P. Roux, Les Explor-ateurs..., P.57؛ «عن المناظرة يستحسن مراجعة، سوذرن، مرجع سابق.. ص/90].

(35) أودوريك دي بوردنون: ولد حوالي 1265 من عائلة تشيكية او بوهيمية... وقد ذهب الى آسيا في اولى رحلاته سنة 1296. [J.P. Roux, Les Explorateurs, P., 180].

(54) حنا دي مونت كورفينو: مبشر لامع ولد سنة 1247 بالقرب من سالرنو. مثقف فيلسوف ولاهوتي. يعتبر المؤسس الحقيقي للكنيسة اللاتينية في الصين. وقد نجح سنة 1307 ان يصبح رئيساً لأساقفة كمبالوك (بكين) مع ثلاثة من اساقفة الفرنسيسكان مرتبطين به

[انظر، سعد زغلول عبدالحميد، الاسلام والترك، عالم الفكر، مجلد 2/10، ص/ 130؛ قارن بتراث الاسلام (ارنولد)، ص/51].

(55) جوردان كتالادي سيفيراك: فرنسي، دخل سلم المبشرين وهو صغير، . زار بلاد فارس وتوجه نحو الهند سنة 1320 ووصل الى الدكن (Dekkan) وقد خسر في الطريق اربعة من رفقائه الفرنسيسكان (هودومينيكاني)، عين اسقفاً لكيلون (Quilon) جنوب الدكن سنة 1330، وهناك رواية غير مؤكدة تقول انه قتل في الصين، وله مؤلف عن العجائب (Mirabilia descripta) [J.P. Roux, Les Explorateurs... P.,80].

(65) آل بولو: ان اهم الرحلات التي تمت في القرنين الثالث والرابع عشر هي التي قامت بها اسرة الـ Polo من التجار البنادقة. وهم ماركو (1254-1324) وولده نيقولا وعمه مافيو كسفراء من قبل البابا جريجور العاشر، وكانوا على دراية ببلاد القرم والقبشاق وخوارزم، وكان وصولهم في سنة 1275 واقام ماركو في الصين في خدمة قوبيلاي خان الى سنة 1292. وعادوا الى البندقية سنة 1295 . . . وكان من اهداف البولو اكتساب «البرابرة» المغول الى جانب المسيحية في محاولة اخيرة لم يقدر لها النجاح للاجهاز على الإسلام. [قارن بـ د. حسين فهيم، قصة الانتروبولوجيا، مرجع سابق، ص/62؛ سعد زغلول عبدالحميد، الاسلام والترك. . . ص/129].

(57) بارسوما: حرص ارغون بن ابغا (1284-1291) حفيد هولاكو ـ وكان بوذياً ـ على استئناف القتال مع المماليك فكان لزاماً عليه ان يسعى للتحالف مع المسيحية. ولهذا الغرض ارسل ارغون رسالة الى البابا هونوريوس الرابع سنة 1285 ولكنه لم يتلق رداً. . . فقرر سنة 1287 ان يبعث بسفارة الى الغرب واختار ربان سوما الذي كتب تقريراً فيما بعد عن رحلته. . . وقد مر في القسطنطينية، نابولي وروما (حيث وجد البابا قد مات)، ثم توجه الى فرنسا وقابل الملك الشاب فيليب الرابع، والتقى سوما بادوارد ملك انكلترا في بوردو عاصمة ممتلكاته الفرنسية وسنة 1288 ثم انتخاب البابا نقولا الرابع فاستقبل سوما. [الباز العريني، المغول. . . ص/305 وما بعدها].

(58) كوماني ـ كوماني: نسبة الى كومان وهم شعب تركي احتل سهول روسيا الجنوبية من القرن الحادي عشر حتى القرن الرابع عشر. وهم يسمون القبجاق (Kipitchaks) او قبشاق (Qiptchaqs) من قبل الكتاب العرب والاتراك. وقد هزمهم جنكيز خان في معركة كلكا (Kalka) سنة 1222. لجأوا الى هنغاريا واعطوا اسمهم لمنطقة فيها تدعى كوماني (Coumanie) وقد اختفى اللسان الكوماني منذ نهاية القرن الثامن عشر.

(59) بيغولوتي: تاجر ورحالة (القرن الرابع عشر) احد وكلاء آل باردي (Les Bardi) وقد وصل الى الصين. حيث كتب دليله البحري الذي يصف فيه كل انواع النشاط التجاري في وقته [قارن بـ Roux, Les Explorateurs, P., 84].

(60) روجر بيكون (1214-1292): فيلسوف وعالم بريطاني وأحد اكبر علماء القرون الوسطى وهو من المتأثرين بالثقافة العربية الاسلامية. ولم يتردد في القول «ان الفلسفة اترومة عربية»، وقد استطاع بيكون ان يضع المسيحية في موقعها الحقيقي جغرافياً وبشرياً. . . «هناك مسيحيون قليلون في العالم اليوم، اما سائر الارض المعمورة فيغص بالكفار الذين لا يجدون احداً يهديهم الى طريق الحق. وهذا عائد لعجز المسيحية عن القيام بتبشير حقيقي وقد حث على تعلم اللغة العربية. [قارن سوذرن، مرجع سابق، ص/95 وما بعدها؛ تراث الاسلام (ارنولد، ص/356].

(61) ابراهام دي كرسك: فلكي ومنجم بلاط اراغون في مطلع القرن الثالث عشر. منشىء مدرسة الخرائط في جزيرة ميورقه بعد ان اطاح المسيحيون بالسيادة الاسلامية عليها. وقد اعتمدت هذه المدرسة على التراث العربي الاسلامي ومؤلفات امثال البكري وابن سعيد والادريسي وغيرهم. [الشيال، التاريخ الاسلامي، مرجع سابق، ص/87 وهامش/2].

(62) جان دي ماندفيل: غلب على كتاب جان دي ماندفيل الطابع الميداني الخيالي المستمد بطريقة عشوائية من اعمال السابقين. وعلى الرغم من ان هذا العمل لم يكن سوى خليط نادر من الحقيقة والخيال فانه اخذ بلباب الناس وكان له أكبر الأثر في ازدياد فضولهم تجاه الشرق وثرواته وعجائبه. وقد شكل هذا الخيال الجامح والاسطورية الممجوجة كما في كتاب ماندفيل صورة آسيا والهند عند القارىء الاوروبي في القرن الرابع عشر، واصول الخيال والعجائبية في هذا النوع من الكتابات تعود الى ماركو بولو في كتابه الذي «يصف غرائب العالم. فهناك فقرات واقاصيص المقصود منها إثارة الاستغراب والامتاع. [بارنز، مرجع سابق، ص/198؛

سودزن، مرجع سابق، ص/157، هامش/15].

ملاحظة: لقد استعنا أيضاً في بعض المعلومات بـ:

1) Grand Larousse encyclopédique, Lib, Larousse, Ed.1976.

2) Nouveau Larousse-universel, Larouse, éd., 1969.

3) Le Robert, dictionaire universel des noms propres, Paris, 1976.

ترغب مجلة «الفكر العربي» إلى الباحثين والكتّاب المشاركين في محاور أعدادها المقبلة التي ستتناول الموضوعات التالية:

- **الفكر القومي العربي: قراءة نقدية تجديدية.**
- **الفكر الفلسفي العربي: ماذا يبقى من الفلسفة العربية الاسلامية، وتعثّر الصياغات الفلسفية العربية الحديثة والمعاصرة.**
- **الفكر التاريخي العربي والمدارس التاريخية.**
- **اللغة العربية: إشكالات المعاصرة.**
- **علم النفس والانسان العربي.**
- **الثقافة وبناء الشخصية العربية.**
- **حقوق الانسان العربي.**

وإضافة إلى المحاور فإن المجلة ستفرد بعض الملفات لموضوعات محددة مثل:

- **الفرد والجماعة في الفكر العربي الحديث.**
- **مئوية ميخائيل نعيمة.**
- **الترجمة والتعريب وإشكالات المعاصرة.**